



خطبة صلاة الجمعة 30 / 11 / 2018 للشيخ الطبيب محمد خير الشعال, في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(صلة المُرَكِّين برسول الله صلى الله عليه وسلم)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا، وَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب 45].

روى الإمام البخاري عن عطاء بن يسار رضي الله عنه قال: «لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة. فقال: أجل، إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعينا عميا، وآذاننا صما، وقلوبا غلفا».

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب 21].

أيها الإخوة:

بمناسبة دخول شهر ربيع الأول شهر ولادة سيدنا محمد جاءت سلسلة الخطب بعنوان: صلة علمائنا برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لنزداد له محبة ولنجتهد به اقتداء ولنكثر عليه صلاة، صلوات ربي وسلامه عليه.

تحدثت الخطب الماضية عن صلة الصحابة الكرام برسول الله صلى الله عليه وسلم، وصلة المحدثين برسول الله صلى الله عليه وسلم، وصلة الفقهاء برسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعنوان خطبة اليوم: صلة المُرَكِّين برسول الله صلى الله عليه وسلم

أيها الإخوة:

المتخصصون بالعقيدة من علمائنا يسمون المتكلمين، والمتخصصون بالأحكام الشرعية يسمون الفقهاء، والمتخصصون بالتربية الروحية يسمون المتصوفة، وهم المُرَكِّون المتخصصون بتهذيب النفس وتحليتها بالأخلاق الحسنة.

ومن أعلام هؤلاء الإمام الجنيد وابن عطاء الله السكندري والشيخ أحمد الرفاعي والشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ خالد النقشبندي والشيخ أبو الحسن الشاذلي، وغيرهم كثير.

ولئن اختلف الناس في قبول التصوف أو رده، فإن الجميع متفق على تركية النفس وتهذيبها؛ لأن الله

تعالى قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: 9، 10] ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14)﴾

وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: 14، 15]، وعندها لا مُشَاخَّة في الاصطلاح سواء سميناه تصوفاً أو تركية، وسواء سمينا رجاله الصوفية أو المُرَكِّين، ولئن نُقلت عن بعض رجالاته شطحات ومخالفات فإن في العلوم كلها صحيحاً وسقيماً، ولا يصح هجر العلم لخطأ بعض أهله. بل نأخذ ما صفاً وندع ما كدر.

وقد تعلق أهل التزكية والتصوف برسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة واتباعاً، ومرجعية وتحكيمياً، وذكرراً وصلوة عليه صلى الله عليه وسلم.

فأما طاعتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ومتابعتهم له:

فقد قَالَ ذُو الثُّونِ الْمَصْرِيّ: "من عَلَامَةِ الْمُحِبِّ لِلَّهِ مُتَابَعَةُ حَبِيبِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَخْلَاقِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَأَوَامِرِهِ وَسُنَنِهِ".

وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ الْخَيْرِيُّ: مَنْ أَمَرَ السُّنَّةَ عَلَى نَفْسِهِ قَوْلًا وَفَعَلًا نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ، وَمَنْ أَمَرَ الْهَوَى عَلَى نَفْسِهِ نَطَقَ بِالْبِدْعَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ " "

وَلَمَّا اخْتُصِرَ مَرْقُ ابْنُهُ أَبُو بَكْرٍ قَمِيصَهُ فَفَتَحَ أَبُو عُثْمَانَ عَيْنَهُ وَقَالَ: "خِلَافُ السُّنَّةِ يَا بَنِي فِي الظَّاهِرِ عِلَامَةٌ رِيَاءٍ فِي الْبَاطِنِ".

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ سَهْلٍ: "مَنْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ آدَابَ السُّنَّةِ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِنُورِ الْمَعْرِفَةِ، وَلَا مَقَامَ أَشْرَفَ مِنْ مُتَابَعَةِ الْحَبِيبِ فِي أَوْامِرِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ".

قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ الرَّفَاعِيُّ: كَمَالُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ الْإِخْذُ بِمَحْدِثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْعَمَلُ بِسُنَّتِهِ، وَهَذَا الْقَامِعُ لِلنَّفْسِ.

أَخْرَجَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي تَارِيخِ بَغْدَادٍ، سَأَلَ جَعْفَرَ بْنَ نَصِيرٍ بَكَرَانَ الدِّينَوْرِي - وَكَانَ يَخْدُمُ الشُّبْلِي - مَا الَّذِي رَأَيْتَ مِنْهُ - يَعْنِي عِنْدَ وَفَاتِهِ -؟ فَقَالَ: قَالَ لِي: عَلَيَّ دِرْهَمٌ مَظْلَمَةٌ، وَتَصَدَّقْتُ عَنْ صَاحِبِهِ بِالْوَلَفِ فَمَا عَلَيَّ قَلْبِي شُغْلٌ أَعْظَمَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: وَضَيْتُ لِلصَّلَاةِ، فَفَعَلْتُ فَنَسِيتُ تَحْلِيلَ لِحْيَتِهِ وَقَدْ أُمِسَّكَ عَلَى لِسَانِهِ، فَقَبِضَ عَلَى يَدِي وَأَدْخَلَهَا فِي لِحْيَتِهِ ثُمَّ مَاتَ، فَبَكَى جَعْفَرٌ وَقَالَ: مَا تَقُولُونَ: فِي رَجُلٍ لَمْ يَفْتَهُ فِي آخِرِ عَمَرِهِ أَدَبٌ مِنْ آدَابِ السُّنَّةِ؟!

قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ اللَّهُ السَّكَنْدَرِيُّ فِي تَاجِ الْعُرُوسِ الْحَاوِي لِتَهْذِيبِ النُّفُوسِ: (وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا تَحْصُلُ لَكَ الرِّفْعَةُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بِمُتَابَعَةِ النَّبِيِّ الْمَكْرُمِ وَالرَّسُولِ الْمَعْظَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،...

قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ: ﴿فَمَنْ يَبْعِنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إِبْرَاهِيمُ: 36] فَمَفْهُومُ هَذَا أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَّبِعْهُ لَيْسَ مِنْهُ؛ وَقَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا

أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ [هُود: 45] فَأُجَابُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هُود: 46] فَالْمُتَابَعَةُ تَجْعَلُ التَّابِعَ كَأَنَّهُ جُزْءٌ مِنَ الْمُتَّبِعِ وَإِنْ كَانَ أَجْنَبِيًّا

كَسَلْمَانَ الْفَارَسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «سَلْمَانُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ» [الْمُسْتَدْرَكُ] وَمَعْلُومٌ أَنَّ سَلْمَانَ مِنَ الْفَارِسِ وَلَكِنْ بِالْمُتَابَعَةِ قَالَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ تَعْلِيمًا؛ فَكَمَا أَنَّ الْمُتَابَعَةَ ثَبَّتَ الْإِتِّصَالَ كَذَلِكَ عَدَمُهَا يَثْبِيتُ الْإِنْفِصَالَ، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي بَيْتٍ وَجَعَلَ مِفْتَاحَهُ مُتَابَعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،... وَمَنْ فَتَحَ لَهُ بَابَ الْمُتَابَعَةِ فَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ

وتعالى له ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

فإذا طلبت الخير كله فقل: اللهم إني أسألك المتابعة لنبيك وحبيبك ورسولك وصفيك ونجيك محمد صلى الله عليه وسلم في الأقوال والأفعال.
لقد تابع أهل التزكية والتصوف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطاعوه لأنهم علموا أن الخير كله في متابعته وطاعته.

وأما رجوعهم لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحكيمها:

فقد قال أبو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِي: "رُبَّمَا يَقَعُ فِي قَلْبِي النُّكْتَةُ مِنْ نَكْتِ الْقَوْمِ أَيَّامًا فَلَا أَقْبَلُ مِنْهُ إِلَّا بِشَاهِدَيْنِ عَدْلَيْنِ: الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ".

قَالَ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ سَالِمِ الْحَدَّادِ: "مَنْ لَمْ يَزِنْ أَفْعَالَهُ وَأَحْوَالَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَمْ يَتَّبِعْ خَوَاطِرَهُ، فَلَا تَعْدُوهُ فِي دِيْوَانِ الرِّجَالِ".

وَقَالَ الْجُنَيْدُ: "مَنْ لَمْ يَحْفَظِ الْقُرْآنَ وَلَمْ يَكْتُبِ الْحَدِيثَ لَا يَفْتَدِي بِهِ فِي هَذَا الْأَمْرِ؛ لِأَنَّهُ عَلِمَنَا هَذَا مُقَيَّدًا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ".

قَصَدَ أَبُو يَزِيدَ الْبَسْطَامِيُّ بَعْضَ مَنْ يُوصَفُ بِالْوَلَايَةِ، فَلَمَّا وَافَى مَسْجِدَهُ قَعَدَ يَنْتَظِرُ خُرُوجَهُ فَخَرَجَ الرَّجُلُ وَتَنَخَّمَ فِي الْمَسْجِدِ، فَانْصَرَفَ أَبُو يَزِيدَ وَلَمْ يَسْلَمْ عَلَيْهِ وَقَالَ: هَذَا الرَّجُلُ غَيْرُ مَأْمُونٍ عَلَى أَدَبٍ مِنْ آدَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَيْفَ يَكُونُ أَمِينًا عَلَى أَسْرَارِ الْحَقِّ".

أَخْرَجَ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحِلْيَةِ عَنْ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: "أَصُولُنَا سِتَّةُ أَشْيَاءَ: التَّمَسُّكُ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَالِاقْتِدَاءُ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَآكُلِ الْحَلَالِ، وَكَفُّ الْأَذَى وَاجْتِنَابُ الْآثَامِ، وَأَدَاءُ الْحَقُوقِ"،

رَأَى الْحُسَيْنُ بْنُ أَبِي زَيْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحْيِيَنِي عَلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ لِي: وَالسُّنَّةُ، وَجَمْعُ إِهْمَامِهِ وَسَبَابَتِهِ وَحُلُقِ حَلَقَةٍ وَقَالَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: وَالسُّنَّةُ وَالسُّنَّةُ وَالسُّنَّةُ.

فَقَدْ رَجَعَ الْقَوْمُ إِلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعَلُوهَا حَاكِمًا عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَشُؤْنِهِمْ لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ الطَّرِيقَ كُلَّهُمَا مَسْدُودَةٌ عَلَى الْخَلْقِ إِلَّا عَلَى مَنْ اقْتَفَى أَثَرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا يَقُولُ الْإِمَامُ الْجُنَيْدُ.

أما كثرة صلاتهم وسلامهم على النبي صلى الله عليه وسلم:

فقد ذكر الإمام الشعراني في كتابه العهود المحمدية: (أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نكثر من الصلاة والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلاً ونهاراً ونذكر لإخواننا ما في ذلك من الأجر والثواب ونرغبهم فيه كل الترغيب إظهاراً لمحبتة صلى الله عليه وسلم. واعلم يا أخي أن طريق الوصول إلى حضرة الله من طريق الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من أقرب الطرق... وإن أكثرت من الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم فربما تصل إلى مقام مشاهدته صلى الله عليه وسلم. كان الشيخ أبو العباس المرسى يقول: لو احتجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ما عددت نفسي من المؤمنين).

وكم كرر أهل التزكية في مجالسهم العامة والخاصة قصائد فيها الاشتغال بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كقصيدة البردة والهمزية والمحمدية، وغيرها، ومن ذلك قصيدة الصلاة على رسول الله، وفيها:

إذا ما شئت في الدارين تسعد	فكثر بالصلاة على محمد
وإن صليت فأبغ الأجر فيها	وشقَّع بالصلاة على محمد
وإن شئت القبول لها يقيناً	ألا اختم بالصلاة على محمد
وفعلك كله عقباه خير	إذا صليت فيه على محمد
وقم في الليل وادع الله وارغب	لربك بالصلاة على محمد
وقل يا رب لا تقطع رجائي	وكن لي بالصلاة على محمد
وعجّل بالمتاب على عبيد	توسل بالصلاة على محمد
يخاف ذنوبه لكن ويرجو	أماناً بالصلاة على محمد
وكن لي عند خاتمي فإني	سألتك بالصلاة على محمد

وبعد أيها الإخوة:

هذا شيء من صلة المزكين بالنبي صلى الله عليه وسلم وتعلقهم به: يطيعونه ويتابعونه ويقتدون به، ويرجعون إلى سنته ويحتكمون إليها، ويكثر ذكره والصلاة عليه.

فإذا كان هذا حال أولئك الأعلام فما عسانا نفعل لنزداد قرباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلقاً به؟

أقترح عليك أربعة أمور:

- 1- اقرأ شيئاً من حديثه صلى الله عليه وسلم وسيرته واحفظ شيئاً من الحديث.
 - 2- الزم ورداً يومياً بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، واحضر مجلساً للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مرة كل أسبوع.
 - 3- طبق ما استطعت من سنته.
 - 4- اصحب من أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب 56].

والحمد لله رب العالمين